

من قصص القرآن والسنة قصة ذي القرنين

دروس وعبر



الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

قصة ذي القرنين

من قصص القرآن والسنة

دروس وعبر

كتبه الفقير إلى عفوره الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

١٤٤٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي
محمد ﷺ، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في
النار.



فهذه رسالة موجزة^{٢٣} في شرح وبيان قصة عبد صالح من أهل التوحيد، جاهد لإصلاح نفسه، وسعى في إصلاح غيره، فدعا إلى التوحيد والسنة وتحقيق العبودية لله تعالى التي خلق الخلق من أجلها، فمكّن الله له في الأرض بركة دعوته للتوحيد، وإخلاص العبودية لله تعالى، وهذه سنة الله في خلقه؛ أنه لن تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

فمن ثمرات العبودية لله والدعوة إلى سبيله والزهد في الدنيا: التمكين في الأرض، كما قال سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

وهذا الرجل الذي مكّن له في الأرض فصار عالمًا عاملاً داعيًا إلى الإسلام، وحاكمًا عادلاً مُصلحًا ناشراً للخير الديني



قصة ذي القرنين

والدنيوي: هو ذو القرنين الذي طاف الأرض شرقاً وغرباً، وبنى السدَّين العظيمين كما ذكر الله ذلك في سورة الكهف، وليست العبرة من القصة في القرآن والسنة مجرد التسلية بحكاية تحكى، وإنما للتفكير والتذكر، كما قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [يوسف: ١١١]، وقال: {فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾}

[الأعراف: ١٧٦]، وقال في قصة ذي القرنين: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣]، أي: ما فيه تذكرة وعبرة وعِظَةٌ وعِلْمٌ نافعٌ وأحكامٌ عظيمةٌ وحِكمٌ مفيدةٌ.

وهذا ما سنتعرَّض له بمشيئة الله تعالى من خلال هذه الرسالة.

في المبحث الأول: نصُّ ما ورد في القصة في كتاب الله تعالى.

وفي الثاني: معاني كلمات القصة.

وفي الثالث: الشرح الإجمالي للقصة.

وفي الرابع: الدروس والأحكام المستفادة من القصة.



وفي الخامس: معلوماتٌ مهمةٌ عن ذي القرنين والسدِّ الذي
بناه، فحال بين يأجوج ومأجوج وبين غيرهم.
والله أسأل أن يرزقنا العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، والفقهِ في
الدِّين، والفوزَ بالجنةِ والنجاةَ من النارِ، وصلى الله وسلّم على نبيِّنا
محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول: نصُّ القصة من القرآن الحكيم

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۞ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ



فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاثُونِي رُبْرَ الْحَدِيدِ
 حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ
 ءَاثُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَلْعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَلْعُوا
 لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
 وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

المبحث الثاني: معاني كلمات القصة

- {وَيَسْأَلُونَكَ}؛ أي: المشركون واليهود سألوا رسول الله ﷺ

عن خبر ذي القرنين وقصته.

- {ذِي الْقَرْنَيْنِ}؛ هو ملكٌ عادلٌ، وعالمٌ صالحٌ، لُقِّبَ بذي

القرنين، قيل: لأنه بلغ قرني الشمس؛ أي: مشرقها ومغربها. وقيل:

لأنه كانت له ضفيران. وقيل: لأنه حكم قرنين من الزمان. وقيل:

كان برأسه بروزٌ من الجانبين، فُسِّمِيَ «ذو القرنين»، أو لأن تاجه

الخاص كان له قرنان.



- { مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ } : مَنْحَاهُ سُبُلَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَكْمِ .

- { سَأْتِلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا } ؛ أي: سأتلوا عليكم من أحواله ما يكون تذكرةً وعبرةً .

- { وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا } : أعطيناه من الأسبابِ الموصلةِ لِمَا وصل إليه مما يستعينُ به على تحقيقِ أهدافِه في الفتح والخير والإصلاح، وقد استعملها على وجهها .

- { فَأَتْبَعَ سَبَبًا } : أخذ بالأسبابِ معتمداً على الله بجدٍّ واجتهادٍ .

- { مَغْرِبَ الشَّمْسِ } : رأى الشمسَ مرأى العينِ كأنها تغربُ في عينِ حَمِيَّةٍ ؛ أي: سوداء، وهذا هو المعتادُ لِمَنْ كان بينه وبين أشعةِ الشمسِ الغربيِّ ماءً، كأنها تغربُ في نفسِ الماءِ .

- { عَيْنِ حَمِيَّةٍ } : الحَمَأُ هو الطينُ الأسودُ ذو الرائحةِ الكريهةِ، أو الماءُ الآسِنُ الموجودُ في المستنقعاتِ ؛ أي: كان يرى الشمسَ



عند غروبها كأنها غربت في ماءٍ وطينٍ، كما يرى الناظرُ إلى البحرِ
في أثناء الغروب، فيرى الشمسَ كأنها غربت ونزلت في ماءِ البحرِ.

- {وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا^ط} : جماعةٌ من الناسِ من بني آدمَ، منهم
الصالحون، ومنهم دون ذلك.

- {إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا^ط}؛ أي: لك أن
تعاقبَ المسيءَ على إساءته، وتحسنَ إلى المحسنِ على إحسانه.

- {قَالَ إِنَّمَا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ^ط} ؛ أي: ندعوه إلى التوبة
والتوحيدِ واتباعِ منهجِ الله، فإن تاب، وإلا عذبناه بعذابِ الدنيا
الذي شرعه الله للمُجرمين، ثم في القيامة يُردُّونَ إلى الله فيُعَذِّبُهُمْ^ط
العذابَ المنكرَ الشديدَ.

- {وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى^ط} ؛ أي: له
الجزاءُ الجميلُ في الدنيا والآخرة.



- {وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} ؛ أي: نتعامل معه بالقول

الحسن وبمكارم الأخلاق، ونُسَهِّلُ عليه الصعابَ، ولا نكلِّفه فوق طاقته، وهؤلاء هم أهل التوحيد والإيمان والعمل الصالح.

- {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} ؛ أي: اتَّبَعَ الأسبابَ التي أعطاه الله إياها أَخِذًا بها متوَكِّلًا على ربه.

- {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} : وَصَلَ إِلَى أَقْصَى نَقْطَةٍ فِي الشَّرْقِ، بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانٍ شَرُوقِ الشَّمْسِ.

- {وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} ؛ أي: أنهم قومٌ ضعيفو الإمكانياتِ الواقيةِ من حرِّ الشمسِ، كالملابسِ والبيوتِ والأشجارِ ونحو ذلك، أو أن النهارَ عندهم دائمٌ لا ليلَ فيه، فلا تغيَّبُ عنهم الشمسُ كما هو الحالُ في الجنوبِ الإفريقيِّ وبعضِ البلادِ.



- {كَذَلِكَ وَفَدَّ أَحْطَنًا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا}؛ أي: لا يخفى علينا

شيءٌ مما عنده من النعم والإمكاناتِ ومعالمِ القوة، وما يريده ذو القرنين من سعيه شرقاً وغرباً، فالله عالمٌ بالظواهرِ والبواطنِ.

- {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}؛ أخذ بالأسبابِ التي يسرّها الله له في خدمة

الدينِ وإصلاحِ الدنيا.

- {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ}؛ أي: بين الجبلين العظيمين.

- {وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا}؛ لا

يفهمون لغةَ ذي القرنين.

- {قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ}؛ أي: تكلموا بالإشارة، أو بمنْ وفقه

الله للترجمة بين الطرفين.

- {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}؛ بسفكِ الدماءِ

ونهبِ الأموالِ، وهما قبيلتانِ من بني آدمَ مفسدتانِ في الأرضِ.



- { فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا } ؛ أي: نجعلُ لك أجرًا وجُعلاً ومالاً

كثيراً.

- { عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } ؛ أي: حاجزاً منيعاً يمنعهم

من الوصول إلينا، ونهب خيراتنا، وسفك دمائنا، وظلمنا.

- { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } ؛ أي: ما أعطاني الله من النعم

خيرٌ من أموالكم، وتعفّف عن أخذ أموالهم، ولم يأخذ أجرًا على

نفعه لهم.

- { فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } : أعينوني

برجالكم وشبابكم وعتادكم؛ ليعملوا بأيديهم استثماراً لطاقتهم.

- { ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ } : قَطَعَ الحديد العظيمة بعضها فوق

بعض.

- { حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ } ؛ أي: غطّى بين الجبلين

العظيمين السدّين بشكلٍ كاملٍ.



- {قَالَ أَنْفُخُوا}: أمرهم بجمعِ الوقودِ وإشعالِ النارِ فيه،
والنفخ في هذه النارِ بوقودِها حتى احمرَّ الحديدُ لربطِ قطعِ الحديدِ
بعضِها ببعضٍ؛ فيصيرُ الحديدُ كله قطعةً واحدةً وحاجزًا منيعًا.

- {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا}: أي: التَّحَمَّ الحديدُ بعضُه ببعضٍ،
وصار جميعًا كتلةً واحدةً.

- {قَالَ عَائُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}: أي: اجلبوا لي النُّحاسَ
المذاب؛ حتى أغطي به الحديدَ، وأضعه فوقَ السِّدِّ الحديديِّ؛
حتى لا ينفذَ منه الهواءُ، ويُحفظَ من التَّأْكِلِ والصِّدَأِ، وهنا خلطَ
الحديدَ بالنُّحاسِ، فازداد قوةً وصلابةً ونعومةً، فلا يستطيعُ أحدٌ
خرقه ولا الصعودَ عليه.

- {فَمَا أَسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}: أي: لم يستطيعوا لشدةِ نعومةِ
جدرانِه أن يتسلَّقوه.

- {وَمَا أَسْطَلَعُوا لَهُ نَقَبًا}: لم يستطيعوا خرقه لشدِّته وقوته.



- { قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي } ؛ أي: هذا الذي تمَّ من بناء السدِّ

وإحكامه إنما هو بفضلِ الله وتوفيقه ورحمته، فما بكم من نعمةٍ
فمنَ الله، وهذا من تمامِ الشكرِ، فاللهُ هو الذي منحني العلمَ
والمعرفةَ والقوةَ والقدرةَ، وهو الذي بحوله وقوته سخرنا لجلبِ
الخيرِ لكم ودرءِ الشرِّ عنكم.

- { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ } ؛ أي: هذا السدُّ مع كونه
مُحكماً منيعاً فلا تظنَّ أنه أبديٌّ خالدٌ، فكلُّ من عليها فانٍ، سيأتي
يومٌ أخبرَ الله عنه رسله وأنبياءه في الكتابِ والسنةِ أنه سينهارُ فيه هذا
السدُّ، وسيخرجُ يأجوجُ ومأجوجُ للإفسادِ في الأرضِ قربَ قيامِ
الساعةِ، ثم يهلكهم الله تعالى.

- { وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } : فإن كلَّ مَنْ عليها فانٍ، ويخرجُ
يأجوجُ ومأجوجُ في آخرِ الزمانِ يفسدون في الأرضِ، ثم يهلكهم الله
بعد هلاكِ الدَّجالِ.



المبحث الثالث المعنى الإجمالي للآيات الواردة في قصة ذي القرنين

ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك وغيرهم عن
خبر الملك الصالح العالم العابد العادل ذي القرنين، فقل لهم:
سأقص عليكم مما علمني ربي وأوحاه إليّ منه شيئاً من سيرته،
يكونُ ذكراً لكم تتذكرونه وتتّعظون وتعتبرون به.

هذا الملك مكن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء أسباباً
وطرقاً وعلماً وقوةً يتوصل بها إلى ما يريد من الخير من فتح
المدائن، وقهر الأعداء الظالمين، ونشر الخير والعدل والدعوة إلى
توحيد الله وإقامة دينه.

فأخذ بتلك الأسباب بحكمة وجد واجتهاد؛ حتى إنه وصل
بفتوحاته الإسلامية إلى مغرب الشمس، ووجدّها في مرأى العين
كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغربها قوماً،
فألهمه الله تعالى بما عنده من العلم بشريعة الله أن يدعوهم إلى الله



تعالى بالحسنى والموعظة الحسنة، فمن أصرَّ على الكفرِ والظلمِ والطغيانِ فله أن يُعَذَّبَ بالقتلِ أو غيره، ومن آمنَ ورضيَ بالإسلامِ ديناً فهذا تحسُّنٌ إليه، وتعلُّمُه الهدى، وتبصُّرُه الرِّشَادَ، وله الجزاءُ الحسنُ والقولُ اللينُ.

فقال ذو القرنين: أما مَنْ ظلمَ نفسه، وأصرَّ على الكفرِ والفسادِ والشركِ فسوف نُعَذِّبُه في الدنيا، ثم يُعَذِّبُه الله العذابَ الأليمَ في القيامةِ لموته على الشركِ والكفرِ والطغيانِ، وأما مَنْ آمنَ بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرِه وشرِّه ودان بالإسلامِ، والتزم العملَ الصالحَ بطاعتهِ لربه، فله عند ربِّه الجنةُ، ونحسُنُ إليه في الدنيا بالعلمِ النافعِ ونحوه، ونلينُ له الكلامَ، ونحسُنُ إليه في المعاملة.

ثم رجع ذو القرنين إلى المشرقِ متبِّعاً الأسبابَ التي منحَ الله إياه؛ حتى وصل إلى مَطْلَعِ الشمسِ، فوجدَهَا تَطْلُعُ على قومٍ ليس لهم بناءٌ، ولا سِتْرٌ، ولا شجرٌ، ولا شيءٌ يسترُّهم من الشمسِ، إما



لقلة إمكانياتهم، وإما لأنَّ اليومَ كله نهارٌ عندهم، وليس عندهم ليلٌ يستترونها فيه.

والله العليمُ الخبيرُ اللطيفُ الذي أنعمَ على ذي القرنينِ بهذه النعم ومنحه الأسبابَ؛ ولكنه محيطٌ بكلِّ ذلك علماً.

والظاهرُ - والله أعلم - أن الله وفَّقه في خيرٍ لهؤلاءِ الناس بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويستترهم من الشمس.

ثم سار ذو القرنين في رحلته الثالثة؛ حتى بلغ ما بين الجبلين الحاجزين لهما وراءهما، فوجد من دونهما قوماً لا يكادون يعرفون كلامَ غيرهم، فاستطاع ذو القرنين إما بلغة الإشارة وإما مستعيناً بمن يترجمُ بينه وبينهم أن يفهمَ لغتهم وكلامهم ومرادهم، فقالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم مُفسدون في الأرضِ بإهلاكِ الحرثِ والنسلِ، يظلمونا دوماً، فهل نجعلُ لك أجراً، ونجمع لك مالاً على أن تجعلَ بيننا وبينهم حاجزاً يحولُ بيننا وبينهم؟



فاستعفَّ واستغنى ذو القرنين عن أموالهم، وقال لهم: ما أعطانيه ربي من الملك والقوة والمال خير لي من مالكم كله، فلست بحاجة إلى ذلك؛ ولكنني بعون الله سأعينكم في تحقيق مرادكم ودفع الظلم عنكم وعن غيركم؛ ولكن افعلوا ما أمركم به، وهو:

١- أعينوني بقوة منكم من رجالكم وشبابكم أجعل بينكم وبينهم سداً.

٢- أعطوني قطع الحديد؛ حتى إذا جاؤوا بها ووضعوها وحاذوا بها بين جانبي الجبلين قال: أججوا النار، حتى إذا صار الحديد كله ناراً قال: أعطوني النحاس المنصهر أفرغه على الحديد؛ ليكون مادة ملساء قوية غير قابلة للتسليق ولا للاختراق.

فلما أطاعوه فيما أمرهم به وبنوا معه هذا السد لم يستطع بعدها يأجوج ومأجوج أن يصعدوه، ولا أن يتسلقوه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا أن ينقبوه؛ لقوة مادته وبعد عرضه.



ولما كان ذلك بينَ لهم ذو القرنين أن هذا مَحْضُ فضلٍ ورحمةٍ
وتوفيقٍ من الله وحده، وليس بعلمي ولا بقوتي ولا بجنودي ولا
بفضلكم، وإنما: {وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣].

فالواجبُ علينا جميعاً أن نشكرُ الله وحده على ذلك، فهو
المنعمُ الوهابُ والمعطي والرازق، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

وهذا دأبُ الشاكرين، فنسبةُ الفضلِ إلى الله من عظيمِ شكرِ الله
على النعم، ثم قال لهم: سيظلُّ هذا السدُّ حاجزاً منيعاً بينكم وبين
يأجوجَ ومأجوجَ حتى يأتيَ وعدُ الله قربَ قيامِ الساعةِ، حينما يأذنُ
اللهُ بخروجهم زمنَ عيسى بنِ مريمَ ﷺ وبعدَ مقتلِ الدَّجَالِ،
فيخرجون فيفسدون في الأرضِ حتى يقولوا: قتلنا أهلَ الأرضِ
وأهلَ السماءِ.

وحينها يأمرُ الله عيسى بنَ مريمَ والمسلمين أن يتحصَّنوا منهم
بجبلِ الطورِ، ويدعون ربَّهم أن يُنَجِّيهم منهم ومن شرِّهم، فيرسل
اللهُ النَّعْفَ في أقفائهم؛ أي: الدودَ الذي ينخرُ عظامهم، فيهلكون



جميعاً، ويَصْرَعون في يومٍ واحدٍ، حتى تمتلئ الأرض من نَتْنِهِمْ
 وزَهْمِهِمْ، فيدعو عيسى عليه السلام والمسلمون أن يُطَهِّرَ اللهُ الأرضَ منهم،
 فيُنْزِلُ اللهُ مطراً عظيماً من السماء، فيحملُ جُثَثَهُمْ إلى البحرِ،
 ويرِيحُ اللهُ أهلَ الأرضِ من شرِّهم، كما أخبرنا بذلك رسولُ اللهِ
 محمدٍ ﷺ.



المبحث الرابع الدروس والفوائد من قصة ذي القرنين

اشتملت قصة ذي القرنين على فوائد ودروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ ومهمةٍ، نذكر منها ما يأتي:

١ - السؤال مفتاح للعلم: قال الله تعالى: { فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣].

وكم من سؤالاتٍ سألها المسلمون والمشركون للنبي ﷺ كانت مفتاحاً لعلوم وفوائد كثيرةٍ، فهذا جبريل ﷺ يرسله ربه ﷻ في صورة آدمي؛ ليسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراف الساعة؛ ليعلم المسلمين دينهم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى



رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ
 الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ
 رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ:
 فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ
 تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ
 خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ
 تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ
 السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي
 عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ
 رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ
 قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
 قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٨).



كثيرٌ من أحكام القرآن والسنة شرعت ونزلت من عند الله بسبب السؤال عنها، ومثال ذلك قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢١٩].

وقال: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: ٨٣].

ومثاله من السنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ



وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزِدُّهُ لَزَادَنِي^(٢).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ

^(١) أخرجه البخاري (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).



شَيْئًا، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةَ، وَتُوْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ
الْبَيْتَ»^(١).

وعن أبي أمانة الباهلي رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ:
مُرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ».
ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ
أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»^(٣).

وهكذا أكثر الأحكام الشرعية، عرفناها بسبب السؤال
والجواب عنها.

ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: «زِيَادَةُ الْعِلْمِ الْإِبْتِغَاءُ، وَدَرْكُ الْعِلْمِ
السُّؤَالُ، فَتَعَلَّمْ مَا جَهِلْتَ، وَاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٧٤).



وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: بِمَ أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: «بِلِسَانِ سَوْوِلٍ، وَقَلْبِ عَقُولٍ»^(١).

وحسن السؤال نصف العلم، فهذا جبريل جاء في صورة آدمي سائلاً، وقد سمى النبي ﷺ ذلك علماً، فقال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فالسؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً.

٢- ينبغي على السائل ألا يسأل إلا فيما ينفع ويفيد:

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثِ عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ، فِي الْقُرْآنِ، مِنْهُنَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ} [البقرة: ٢١٧]، وَ{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ} [البقرة: ٢٢٢]، قَالَ: مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ^(٢).

بل إنهم كانوا يسألون؛ ليعلموا ما جهلوا، ويعملوا بما علموا:

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٧٠).

(٢) أخرجه الدارمي (١٢٧).



وَمَنْ اسْتَحْيَا مِنْهُمْ أَنْ يَسْأَلَ لِسَبِّ مَا أَمَرَ غَيْرَهُ بالسَّوَالِ؛ لَكِي
يَتَعَلَّمَ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام
قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَرْتُ
الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «فِيهِ الْوُضُوءُ»^(١).

بل كانت المرأة تأتي وتَسْأَلُ عما يُسْتَحْيَا مِنْ ذِكْرِهِ؛ لَكِن لَكِي
يَعْلَمَنَّ حُكْمَ اللَّهِ وَيَعْمَلَنَّ بِهِ، وَيَعْلَمَنَّ ذَلِكَ لِلْأَمَةِ، فَهَذِهِ أُمُّ سَلِيمٍ
بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةُ تَأْتِي وَتَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ». فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ
الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، فَبِمَ يُشَبِّهُهَا وَلَدُهَا؟»^(٢).

^(١) أخرجه البخاري (١٧٨).

^(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩١) ومسلم (٣١٣).



وفي رواية عند أحمد رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، وَإِنَّا إِن نَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْنَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُونَ مِنْهُ عَلَى عَمِيَاءَ»^(١).

والسؤال قد يكون للمعرفة كما سأل الصحابة رسول الله ﷺ؛ ليتعلموا دينهم، ويعرفوا ربهم.

وقد يكون سؤال تحدٍّ، كسؤال المشركين واليهود عن قصة ذي القرنين.

وفي كل الأحوال الجواب على السؤال له فائدته التربوية، فمن سأل للتعليم والمعرفة فقد استفاد ما يقربه من الله ويعينه على تقواه، ومن سأل للتحدي فالجواب عليه يبين صدق الدعوى والداعي، ووجه الحق وقوة الحجة؛ ولذلك قال الله تعالى:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}

^(١) أخرجه أحمد (٢٧١١٨).



[الكهف: ٨٣] لم يهمل سؤالهم، وإنما قال: {قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ

ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣].

٣- فيه إبراز محاسن ذوي الفضل ممن يقتدى بهم، وبيان عظيم دورهم في نشر الحق والإصلاح في الأرض؛ فذو القرنين رجل عظيم ذو شأن كبير في نشر الخير ودرء الشر، والدعوة إلى توحيد الله والإصلاح في الأرض؛ ولذلك عظم الله أمره، وأخبرنا عن شيء من خبره الدال على عظيم نفعه للخلق إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة.

وهذا أيضًا من هدي الله ورسوله ﷺ، فقد عظم الله شأن الأنبياء والرسل ومن قام بدعوتهم والذب عنهم، وعلى سبيل المثال: ذكر الله بعض قصص هؤلاء الأنبياء وفضائلهم وصبرهم على دعوة أقوامهم، فقال عنهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾} [الأنعام: ٩٠] وقال: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾} [مريم: ١٦]، {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْهُوَ



كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ { [مریم: ٤١]، {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ { [مریم: ٥١]، {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ { [مریم: ٥٤]، {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ { [مریم: ٥٦] وقال: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ { [غافر: ٢٨] وقال: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَلْقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ { [يس: ٢٠].

وهكذا فعل النبي ﷺ، فقد عظم شأن الصحابة، وبيّن عظيم فضلهم، وبيّن أن حبهم إيماناً، وبغضهم نفاقاً، وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، وقال ﷺ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).



فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ،
وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي
الْجَنَّةِ»^(١).

وبناءً على تزكية النبي ﷺ لهم وبيانه لفضلهم وإبرازه
لمحاسنهم ودورهم العظيم في نصرة هذا الدين؛ اشتهر أبو بكر
بالصديق، وعمرُ بالفاروق، وعثمانُ بذي النورين، وعليُّ بالخليفة
الراشد وأبي الحسنين وأبي تراب، المشهور بالعلم والقضاء،
وخالدُ بن الوليد بسيف الله المسلول، وأبو عبيدةُ بن الجراح بأمين
الامة، ومعاذُ بن جبلٍ بأعلمِ الامة بالحلال والحرام، وأبيُّ بن كعب
بسيدِ القراء، وزيدُ بن ثابتٍ بالفرضي (عالم المواريث)، والبخاريُّ
بجبلِ الحفظ وإمام الدنيا، وأحمدُ بن حنبلٍ بإمام أهل السنة، وأبو
هريرةُ بأمير المؤمنين في الحديث... إلى آخره.

وهذا كله تعظيمٌ للعلم والهدى والنفع والصلاح.

^(١) أخرجه أحمد (١٦٣١)، وأبو داود (٤٦٤٩)، وصححه الألباني.



٤- العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، فيجبُ على مَنْ يتصدَّرُ للدعوةِ

إلى الله أو الفتوى في الدين أن يتعلمَ الدليلَ الشرعيَّ من الكتابِ والسُّنةِ بفهمِ السلفِ الصالحِ من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ، فلا يجوزُ للإنسانِ أن يتكلمَ في أمرٍ إلا بعد العلمِ به، ففي هذه القصةِ العظيمةِ قال الله فيها للنبيِّ ﷺ: {قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣] وكلمة: {سَأَتْلُوا} دليلٌ على المعرفةِ بالأمرِ والعلمِ به، والتلاوةُ أثبتُ في الإجابةِ عن غيرها، فالتلاوةُ هي القراءةُ من المحفوظِ في الذاكرةِ عن ظهرِ غيبٍ، والقراءةُ من كتابٍ أقوى حجةً، وأسطعُ دليلًا، والذكرُ في قوله: {ذِكْرًا} هو القرآنُ العظيمُ المعصومُ، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾} [الزخرف: ٤٤]، وقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩]، وقوله سبحانه: {قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ} لم يقل: سأتلو لكم، فقوله: {عَلَيْكُمْ} دليلٌ على التمكنِ والاستعلاءِ، وهكذا المؤمنُ العالمُ يردُّ ويُجيبُ ويتكلمُ بتمكنٍ؛ لقوةِ دليله وعلوه؛ لأنه من عندِ الله العليِّ الأعلى المتعالِ.



٥- على المتكلم والمفتي أن يُجيبَ على قدرِ السؤالِ بما يُفيدُ،
ويُبيِّنُ المرادَ؛ لقوله سبحانه في الجوابِ عن السؤالِ عن ذي
القرنين: {قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣]، فقوله:
{مِنْهُ} للتبعضِ تدلُّ على أن يكونَ الجوابُ على قدرِ السؤالِ،
وهذا ما نجدهُ في قوله سبحانه: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿٨٤﴾}
[الكهف: ٨٤] لم يذكرِ اسمَه ولا بلدَه ولا عمرَه ولا...، وإنما اكتفى
بذكرِ المُهمِّ.

- فقه الإيجاز والإطناب في بيان المراد:

من بلاغة القرآن العظيم الإيجازُ في مواضع، والإطنابُ
(الإسهاب) في مواضع أخرى؛ بياناً للمراد، حسب الفائدةِ في كلِّ
موضعٍ، ففي هذه القصة العجيبة قال سبحانه بإيجازٍ: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ
فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾} [الكهف: ٨٤]، ولم يذكرِ
تفاصيلَ هذا التمكُّنِ من كثرة العددِ والعُدَّةِ من جنودٍ وأسلحةٍ
ومالٍ...، فاكتمى بما يدلُّ على عظمة أمره، وسعة استعدادِه.



وعند الكلام عن مغرب الشمسِ أَطْنَبَ في بيانه، ثم أوجزَ عند الحديث عن مطلعها؛ لِئَلَّا يُؤَدِّي التَّكَرُّرُ إِلَى المللِ من الحديثِ.

٦- **الجزء من جنس العمل**: وهذا واضحٌ بَيْنَ من قولِ الله تعالى في قصةِ ذي القرنين في قوله: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا} (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} (٨٨) [الكهف: ٨٧-٨٨].

ونظيرُ هذا قولُ الله سبحانه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) [الزلزلة: ٧-٨].

٧- **وجوب رفع الظلم عن المظلومين لِمَنْ قدرَ على ذلك من غيرِ مضرّةٍ تعودُ عليه**؛ فهذا ذو القرنين الملكُ الصالحُ الْمُمَكِّنُ في الأرضِ لَمَّا استغاثَ به المظلومون من ظلمِ يأجوجَ ومأجوجَ، قام بتحسينهم من ظلمِ عدوِّهم؛ حتى إن يأجوجَ ومأجوجَ عجزوا عن ظلمهم إلى يومِ الناسِ هذا.



٨- الله ﷻ العليمُ العالمُ الخبيرُ مَطَّلَعٌ على كل شيءٍ، ولا تخفى عليه خافيةٌ، قال الله عن نفسه: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ} [التوبة: ٧٨]، وقال: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩]، وقال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦].

وفي هذه القصة العجيبة قال الله تعالى عن ذي القرنين: {كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} [الكهف: ٩١].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ: أي: نحن مُطَّلِعُونَ على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيءٌ، وإن تفرقت أُممهم، وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى: {لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران: ٥].

والحكمة من ذكرِ الله تعالى أنه أحاط بما لديه خُبْرًا هي - والله أعلم - بيان أن كلَّ ما يحدثُ في هذا الكونِ إنما هو بإرادةِ الله تعالى ومشِيئته وعلمه سبحانه؛ حتى لا ينسى الناسُ هذه الحقيقةَ وهم



يتابعون ويدرسون هذه الأحداث، وحتى لا يُظنَّ أن أحداً من الناس يتحرَّكُ بقدرته الذاتية بمعزلٍ عن علمِ الله وحكمته ومشيتته، قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾}

[التكوير: ٢٩]، وقال: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿٥٣﴾} [النحل: ٥٣]

فكلُّ ما قام به ذو القرنين في الشرق والغرب من إنجازاتٍ إنما كان بتوفيقِ الله ومعونته وقدرته ومشيتته وعلمه.

٩- وجوبُ شكرِ النِّعمِ بنسبتها إلى بارئها سبحانه وتعالى، فالنعمُ كُلُّها من الله وحده، {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}، والفضلُ كُلُّه لله وحده، ذلك الفضلُ من الله، ونسبةُ الفضلِ والنعمِ لله وحده من شكرِ الله على النعم، ونسبةُ الفضلِ والنعمِ للعبد من كفرانِ النعم، قال الله تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾} [النحل: ٨٣]؛ أي: يعرفون أن الله وحده هو المنعمُ الخالقُ الرازقُ الوهابُ المعطي، ومع ذلك ينسبون الفضلَ لأنفسهم أو لغيره سبحانه، وهذا من كفرانِ النعم، فهذا ذو القرنين



لَمَّا مَكَنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَآتَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَصَنَّعَ السَّدَّ الْمَنِيعَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَبِهِ رَفَعَ اللَّهُ الظُّلْمَ عَنْهُمْ وَعَنْ غَيْرِهِمْ، قَالَ: {هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﷻ} [الكهف: ٩٨]؛ أَي: قَالَ شَاكِرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ: إِنَّ هَذَا الْفَضْلَ الْجَمِيلَ وَالْأَثَرَ الْجَلِيلَ هُوَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَعُونَتِهِ وَكَفَالَتِهِ، وَهَذَا حَالُ الشَّاكِرِينَ.

فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ﷺ آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمُلْكِ مَا لَمْ يُؤْتِ غَيْرَهُ، وَلَمَّا رَأَى عَرْشَ مَلِكَةٍ سَبَأٍ عِنْدَهُ قَالَ: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي} {أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﷻ} [النمل: ٤٠]، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُتَكَبِّرِينَ كِفَارِ النِّعَمِ مِثْلَ قَارُونَ، فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى كَثْرَةَ النِّعَمِ وَالْكَنُوزِ قَالَ: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُو عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﷻ} [القصص: ٧٨]؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﷻ} [القصص: ٨١].

وَهَذَا جَزَاءُ كِفَارِ النِّعَمِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﷻ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﷻ}



[إبراهيم:٧]، فَمِنْ تَمَامِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ نِسْبَةُ الْفَضْلِ وَإِسْنَادُهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا دَأْبُ الصَّالِحِينَ.

قال ابن القيم رحمه الله: وكذلك حقيقة الشكر في العبودية، وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبُّه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمسة هي أساس الشكر، وبناءؤه عليها، فمتى عَدِمَ منها واحدةً اختلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قاعدة^(١).

١٠- {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ۞ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۞} [الرحمن:٢٦، ٢٧]، و{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞} [القصص:٨٨]، فكل شيء في الدنيا أمره

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٣٤).



إلى زوالٍ وفناءٍ، فهذا السدُّ المنيعُ الذي بناه ذو القرنينِ بتوفيقِ الله
سيأتي يومٌ وينهارُ بالأسبابِ التي يقدِّرها الله تعالى، وهذا سيكونُ
قبلَ قيامِ الساعةِ بزمانٍ قليلٍ، وهذا هو ما قاله ذو القرنين: {فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: ٩٨]،
فلكلِّ أجلٍ كتابٌ، {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤]، ولهذا قال سبحانه: {حَتَّى
إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [٩٦]
وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوِيلْنَا
قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

وقد دلتِ السُّنَّةُ الصحيحةُ على ذلك، وأنهم يُفسدون في
الأرضِ حتى يُهلكَهم الله تعالى زمنَ المهديِّ وعيسى بنِ مريمَ،
وبعدَ مقتلِ الدجالِ:

ففي «صحيح مسلم»: عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، أن رسولَ
الله ﷺ قال: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ،
فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ



كَذَلِكَ؛ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عَبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ طَبْرِيَّةٍ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّفَّ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنَّهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ»^(١).

من معاني الكلمات:

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).



قد عصمهم الله: حفظهم الله من الدجال وفتنته.

فيمسح عن وجوههم: أي أن عيسى عليه السلام يحنو عليهم،
ويبشرهم بالجنة.

لا يدان لأحدٍ بقتالهم: لا قوة ولا قدرة لأحدٍ على قتالهم.

فحرز عبادي إلى الطور: حصنهم بجبل طور سيناء.

يأجوج ومأجوج: قبيلتان كبيرتان من الناس، يخرجون بعد
هلاك الدجال.

من كل حدب يسفلون: من كل مرتفع يأتون مسرعين للإفساد
في الأرض بأعداد كبيرة.

بحيرة طبرية: في فلسطين بين الجليل والجولان، بالقرب من
نهر الأردن.

حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار: لنفاد الطعام
وشدة الجوع، فيصير رأس البقر أو الجاموس بالثمن المرتفع؛
رغم أنه غير مرغوب في أكله كبقية اللحم.



يَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ: يَتَضَرَّعُونَ بِالْأَدْعَاءِ لِيُفْرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُنَجِّيَهُمْ مِنَ الْحِصَارِ وَالْمَجَاعَةِ، وَيُهْلِكَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

التَّغَفُّ: دَوْدٌ يَنْخَرُ فِي رِقَابِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا.

فَرَسَى: قَتَلَى فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، كَأَنَّهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ.

زَهَمَهُمْ وَنَتَنَهُمْ: دَسَمَهُمْ وَرَائِحَتُهُمُ الْكَرِيهَةُ الْمُتَنِّتَةُ.

طِيرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ: طَوِيلَةُ الْعُنُقِ كَالْإِبِلِ.

لَا يَكُنُّ: لَا يَسْتُرُّ وَلَا يَمْنَعُ مِنْ نَزُولِ الْمَاءِ الْغَزِيرِ.

بَيْتٌ مَدْرٌ: بَيْتٌ مِنْ طِينٍ.

بَيْتٌ وَبَرٌ: بَيْتٌ مِنَ الْخِيَامِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الصُّوفِ.

كَالزَّلَقَةِ: كَالْمِرَاةِ نَظِيفَةٍ مَلْسَاءَ.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَقِيتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى»، قَالَ: «فَتَذَكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجَبْتُهَا فَلَا



يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي ﷺ أَنْ الدَّجَالَ خَارِجٌ،
 قَالَ: وَمَعِيَ قُضِيَّانِ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، قَالَ:
 فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ؛ حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ نَحْيِي
 كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ
 وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ
 حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطُؤُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ،
 وَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ،
 فَادْعُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ؛ حَتَّى تَجْوَى الْأَرْضُ مِنْ
 نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيَنْزِلُ اللَّهُ ﷻ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادُهُمْ حَتَّى
 يَقْدِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ»^(١).

١١ - الأخذُ بالأسبابِ من التوكلِ على الله، وعلى قدرِ بذلِ
 الجهدِ يكونُ الفوزُ والظفرُ، قال سبحانه عن ذي القرنين: {إِنَّا
 مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} ٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا

(١) أخرجه أحمد (٣٥٥٦).



{ ٨٥ } [الكهف: ٨٤-٨٥]؛ أي: أن الله تعالى ملكه ومكّن له من النفوذ في أقطار الأرض وانقيادهم له، وآتيناه من كل شيء سبباً؛ أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة لما وصل إليه من الإصلاح في الأرض، والوصول إلى أقاصيها بالعمران، أخذاً بتلك الأسباب التي هيأها الله له، واستعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود، وإن عَدِمهما أو أحدهما لم يحصل^(١).

وهذا كله مع الاعتماد على الله وحده في جلب المطلوب ودفع المكروه، والاعتقاد بأنه المعطي المانع سبحانه وحده؛ لأن التوكل على الله هو الاعتماد على الله في جلب المطلوب ودفع المكروه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة وترك النتيجة على الله وحده.

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٨٥).



١٢- وجوب استثمار واستغلال الأسباب والطاقات والنعم

التي منحها الله للإنسان في تحصيل وتحقيق القوة المادية والمعنوية، فإنَّ ذا القرنين استغلَّ الأسباب التي أعطاه الله إياه، واستعان بها في تحقيق وتحصيل القوة المادية من العدة والعتاد والمال والخيرات، والصناعات، والتجارات، والزراعات، والمعدات، ونحو ذلك، في إصلاح البلدان وإعمارها، وتحقيق القوة المعنوية في نشر الإسلام والتوحيد وهداية الخلق، وإصلاح شؤونهم وإقامة العدل فيهم.

وهذا من أعظم دروس هذه القصة، فكم من إنسان عنده من الأسباب من مالٍ وبنين وصحة وفراغ وطاقات بشرية؛ ولكنه لا يستغلها، ولا يحسن استثمارها؛ لكسله وتواكله وتوانيهِ، فبالأخذ بالأسباب الكونية على تمامها مع اقترانها بالأسباب الشرعية يتحقق للمرء ما يريد من خيري الدنيا والآخرة، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].



وَأَمَّا مَنْ قَصَرَ فِي أَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا فِيمَا أَنْ يَفْشَلَ
وَيُخْفِقَ فِي طَرِيقِهِ، وَلَا يَتَحَقَّقُ هَدْفُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُسْتَدْرَجَ بِتَحْقِيقِ
مَرَادِهِ، وَرَبُّهُ سَاخِطٌ عَلَيْهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ^(١).

١٣- اللَّهُ يَرْفَعُ بِفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ يَشَاءُ،
وَيُصْطَفِي لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥].
وَقَالَ تَعَالَى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ
مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].

(١) موقع زاد الواعظين، مقال بعنوان: «قصة ذي القرنين دروس وعبر»، العدد الأول
من صفر ١٤٤٧ بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ٢٠٢٥.



وقال سبحانه: {قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾} [آل عمران: ٢٦].

فهذا ذو القرنين عبدٌ يرفعه ربُّه بالعلم والمُلْكِ والهمةِ العالية؛ لخدمةِ الإسلامِ والمسلمين والإصلاحِ في الأرضِ ماديًّا ومعنويًّا، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ». فِقِيل: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»^(١). وقال ﷺ: «وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ»^(٢).

١٤ - العقوبات الدنيوية تُطَهِّرُ الْمُؤْمِنَ، وَلَا تُطَهِّرُ الْكَافِرَ: وهذا ظاهرٌ من قولِ ذي القرنين، كما أخبر الله عنه: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾} [الكهف: ٨٧]، وهذا ما أخبر الله عنه في قوله سبحانه عن الفاسقين:

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٣٦)، والترمذي (٢١٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٧٢).



{ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ } [السجدة: ٢١]، وكما قال عن آل فرعون: { وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ } [غافر: ٤٥-٤٦]، فهم معذبون في الدنيا بالغرق والإهلاك، وفي القبر بالعرض على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا، ويوم القيامة يُدْخَلُونَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

وكما قال عن المنافقين: { سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ } [التوبة: ١٠١]، فيُعَذَّبُونَ مرةً في الدنيا، ومرةً في القبر، ثم إلى عذاب النار في القيامة.

وكما قال عن الكفار: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ } [الأنفال: ٥٠].

وأما أهل الإيمان فقد تواترت الأدلة على أن العقوبات الدنيوية كفارة لهم ورفعة لدرجاتهم، ومن ذلك قال النبي ﷺ: «مَا يُصِيبُ



الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ،
حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ»^(١).

ولَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} [النساء: ١٢٣]
قال أبو بكر رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنُجَازِي بِكُلِّ سُوءٍ نَعْمَلُهُ؟ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ
تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فَهَذَا مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»^(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايَعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا
تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،

(١) أخرجه أحمد (٨٠٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٧١).



وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسْتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»^(١).

ففي هذا الحديث جعل الله الحدود كفارات ومطهرات لمن اقترف هذه الكبائر، وفي الأحاديث التي قبله بين النبي ﷺ أن ما يصيب المسلم من الهم والغم والحزن والنصب والوصب حتى الشوكة: مكفّرات للذنوب والخطايا.

أما الكافر والمشرک فعقوبات الدنيا لا تطهره؛ جزاء على كفره وشركه.

١٥ - **إثبات الميعاد والجزاء:** فمن أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر، بيوم الجزاء والحساب، يوم القيامة، وهذا ما أثبتته ذو القرنين في قوله: {أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا} [الكهف: ٨٧]؛ أي: في القيامة.

^(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).



والأدلة على ثبوت القيامة متواترة من الكتاب والسنة، قال سبحانه عن نفسه: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٤]؛ أي: يوم الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، وقال: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: وكفى بنا محاسبين.

وقال سبحانه: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَةٌ وَاحِدَةٌ} [١٣] وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً [١٤] فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [١٥] وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ [١٦] وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ [١٧] يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [١٨] فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [١٩] إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةٍ [٢٠] فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ [٢١] فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ [٢٢] قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ [٢٣] كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [٢٤] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ [٢٥] وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَهُ [٢٦] يَلَيْتَهَا



كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا
يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُوَ إِلَّا الْخَطِيطُونَ ﴿٣٧﴾

[الحاقة: ١٣-٣٧].

وقال: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾} [الانشقاق: ٧-٩].
وقال النبي ﷺ: «الإيمانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،
وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

وعن عائشة ؓ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عُذِّبَ». فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ

(١) أخرجه مسلم (٨).



حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكَ
الْعَرْضُ، مَنْ نُوْقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَبَ»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ،
فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ،
حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمْتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا
مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفْقَ، ثُمَّ قِيلَ
لِي: انْظُرْ هَهُنَا وَهَهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ، قِيلَ:
هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». ثُمَّ
دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فإِنَّا
وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا
يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَالَ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٦).



عُكَاشَةُ بْنُ مُحِصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَامَ آخِرُ
فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»^(١).

١٦- العمل الصالح يُخَلِّدُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ؛ بل وعند

الناس، فهذا ذو القرنين يُخَلِّدُ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِ الْخَالِدِ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ، مع أَخْذِ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَاضِعِ
مِنْ قِصَّتِهِ، وما نال ذو القرنين ذلك إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْبِرْهَانِ وَالسِّيفِ
وَالْبَنَانِ، رَافِعًا لَوَاءَ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ.

وليس هذا خاصًا بذِي الْقَرْنَيْنِ؛ بل كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ مُخْلِصٍ لِرَبِّهِ
مُجَاهِدٍ مُصْلِحٍ فِي الْأَرْضِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْلِي
شَأْنَهُ، وَيُحْيِي ذِكْرَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةُ الْأَعْلَامُ
وَالْمُجَاهِدُونَ الْأَبْطَالُ وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، خَلَّدَ اللَّهُ
ذِكْرَهُمْ بِالثَّنَاءِ وَالتَّرْحِمِ عَلَيْهِمْ وَالاقتداء بهم، كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ،

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).



وعثمان، وعلي، وخالد، ومالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد،
والبخاري، ومسلم، والطبري، وابن كثير... وغيرهم كثير، رضي
الله عنهما جميعاً.

الله ﷻ يقول: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦]؛ أي: محبةً في قلوب الخلق، وقال
النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا
فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي
الْأَرْضِ»^(١).

١٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله سبيلُ
الرفعة والخيرية والإصلاح في الأرض والنور بالجنة والنجاة من
النار، قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٧).



{١٠٤} [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١).

وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

وذو القرنين رحمه الله كان رجلاً مُمَكَّنًا، وقد قام بما أمر الله به، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده وقوله، كما قال سبحانه: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤١].

فقد استخدم كل الوسائل التي سخرها الله له ومنحه إياها في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، وقد تجلّى ذلك فيما ورد في

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).



قصته من تحركاته الإصلاحية جهة المغرب والمشرق، وبين
السدين، وبناء السد، وما جلبه الله من الخير على يديه لكل هؤلاء.
وبهذا رفع الله ذا القرنين وخلد ذكره.

١٨- الغرض من ذكر القصص في القرآن الكريم هو أخذ العبرة
والعظة منها، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾} [يوسف: ١١١]،
وقال: {فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾} [الأعراف: ١٧٦].

وفي هذه القصة العظيمة قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣]؛ أي:
سأتلو عليكم من أحواله ما يتذكر فيه ويكون عبرة.

١٩- المؤمن المخلص حريص على إيصال الخير والنفع
للناس مهما كانت الظروف: فهؤلاء قوم قال الله عنهم: {لَا
يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾} [الكهف: ٩٣]، ومع ذلك فإن ذا القرنين



لم يئأس من نفعهم ولا من هدايتهم ولا من إيصال الخير إليهم، وإنما حاول التواصل معهم بشتى الطرق، سواء كان بلغة الإشارة أو بوجود من يترجم بينه وبينهم ونحو ذلك، حتى نفعهم الله بعلمه وقوته، وهذا ذو القرنين يقول الله عنه: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَ الشَّمْسِ} [الكهف: ٨٦] {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} [الكهف: ٩٠] {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} [الكهف: ٩٣]، فقد سعى وجد واجتهد وصبر وصابر وثابر؛ حتى يوصل الخير والهداية إلى الناس بكل ما يملك من قوة مادية ومعنوية.

فكان رجلاً ذا همّة عالية، لا يعرف الكسل ولا الخمول ولا اليأس ولا الصعب.

وهكذا كل عبد مؤمن مخلص على علم ذي همّة عالية يعينه الله، ويوفقه ويسدده، ويبارك فيه، ويجري الخير على يديه من حيث لا يحتسب، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ». قالوا: وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ؟ قَالَ: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٣٦)، والترمذي (٢١٤٢)، وصححه الألباني.



وقال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(١).

٢٠- المؤمنُ المخلصُ العالمُ كالغيثِ أينما وقع نفعٌ، مباركٌ

أينما كان، يبذرُ الخيرَ بالتوحيدِ والسُّنةِ والهدايةِ أينما حلَّ، وليس عنده وقتٌ يضعُ هباءً، فهذا ذو القرنين كان رجلًا مجتهدًا مباركًا مخلصًا موحدًا، مكنَ الله له ببركة العلم، والعملِ الصالح، والإخلاص، والدعوة للتوحيد، فنفع الله به أهلَ المشرقِ وأهلَ المغربِ وما بين السَّدين.

فالمؤمنُ الفَظِنُ صاحبُ العلمِ صاحبُ رسالةٍ يؤدِّيها في أيِّ مكانٍ.

نبيُّ الهدى محمد ﷺ أرسله الله وبعثه بمكة، ولما استعصى عليه أهلها خرج إلى الطائف، فلما استعصوا عليه وفقه الله للهجرة إلى يثرب، والتي صارت المدينة طابة وطيبة، طيَّبها الله، والتي من خلالها خرج النورُ إلى ربوع الدنيا بدعوة هذا النبيِّ المبارك ﷺ،

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٨٤).



وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم تركوا المدينة مع عظيم فضل المُقام فيها، وطافوا الدنيا شرقاً وغرباً؛ لنشر الإسلام وتعبيد الناس لله رب العالمين، وتبليغ دعوة الله لخلقه، وهكذا خلفهم من بعدهم ممن تبعهم بإحسان، جاهدوا في الله حق جهاده بالعلم والبرهان، وبالسيف والبنان، فنشر الله بهم الخير والحق والنور والهدى بنور الكتاب والسنة، فخلد الله ذكرهم بالثناء العطر والذكر الجميل.

٢١- حرص المسلم على العمل الصالح في حياته والذي

يجرى عليه بعد مماته: فالمؤمن الذكي الفطن الموفق المسدد من الله هو الذي يعلم حقارة الدنيا وزوالها، وأنها ليست لحي سَكَنًا، وإنما هي دار امتحانٍ وابتلاءٍ، ومزرعةٌ للآخرة، وفي نهاية العمر المقدر ليس هناك إلا الموت، ثم بعده القبر وسؤاله وفتنته، ثم بعد ذلك الحساب والجزاء، فيسعى جاهداً في تحصيل أكبر قدر من الحسنات والأعمال الباقيات الصالحات، بتحقيق العبودية لله تعالى، والتي من أجلها خلقه الله، ويسعى في تحصيل أعمال صالحة يبقى نفعها في حياته وبعد مماته تجري عليه بالحسنات



وهو ميتٌ في قبره، بالعلمِ النافعِ والولدِ الصالحِ والصدقةِ الجاريةِ،
أيًّا كان نوعُها.

قال النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:
إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ
مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَثَتُهُ، أَوْ
مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً
أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»^(٢).

وهذا ذو القرنينِ الرجلُ العظيمُ الذي خلدَ اللهُ ذَكَرَهُ بِالشَّئِءِ
العَظِيمِ والذِّكْرِ الجميلِ، كان رجلاً عاقلاً ذكياً عالماً تقياً حاكماً
عادلاً، عَمِلَ أَعْمَالاً جَرَتْ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمِنْ أَجْلِ
هَذِهِ الْأَعْمَالِ هَذَا السَّدُّ الْعَظِيمُ الَّذِي مَنَعَ اللهُ بِهِ الشَّرَّ عَنِ الْبَشَرِيَّةِ

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني.



إلى قرب يوم القيامة، فهو صدقةٌ جاريةٌ يجري نفعُها على ذي القرنين.

وعلى ذلك: ينبغي للمؤمن أن يحرص على ألا ينقطع عمله بموته؛ بل يعمل عملاً صالحاً يجري عليه في الحياة وبعد الممات.

فهناك يومٌ قال الله عنه: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) { [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقال الله عنه: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) } [عبس: ٣٤-٣٧]، {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) } [الانفطار: ١٩].



٢٢- من فقه مساعدة الفقراء والمساكين والضعفاء

والمحتاجين:

أفضل وسيلة لمعاونة الفقير في سد فقره أن تعلّمه حرفة أو تجارة يستغني بها عن سؤال الناس، وتعيّنه عليها أول أمره، بعدها يصير غنياً عفيفاً منفقاً، بخلاف من يقوم بسد حاجة الفقير سداً مؤقتاً، فيحتاج الفقير بعد ذلك، ويظلّ طول حياته يسأل الناس ويمدّ يده إليهم.

تعلّمنا ذلك من قصة ذي القرنين حينما قال له القوم: {قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥]، فهؤلاء أرادوا من ذي القرنين أن يبنّي لهم سداً مقابل مال يدفعونه إليه على سبيل الأجرة والجعالة، وكان من السهل على ذي القرنين أن يفعل ذلك مقابل المال الذي يريده ويطلبه مهما كان؛ ولكنه مع غناه عنهم وعدم رغبته في الدنيا وعدم



رغبته في أموالهم أراد أن يُعلِّمهم أن يعتمدوا على أنفسهم - بعد اعتمادهم على الله - في تحقيق المراد بجلب النفع ودفع الشر، وقال لهم: {مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ}؛ أي: خيرٌ من أموالكم هذه، وإنما الذي أريده منكم أن تُعينوني بقوة منكم بأيديكم، {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}؛ أي: مانعًا عظيمًا من عبورهم إليكم، فعلمهم أن يعملوا بأيديهم، ويتعبوا ويكدحوا في تحقيق مصلحتهم تحت إشرافه، بالعلم والقوة والإمكانات التي منحها الله له، قال: {ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} [الكهف: ٩٦].

وهناك مثلٌ وحكمةٌ تقول: لا تعطني سمكةً؛ لكن علّمني كيف أصطاد؟

وهذا أيضًا من الصدقة الجارية والعلم النافع.

٢٣- كُلُّ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا مُبْتَئِرٌ، وَكُلُّ ظَلَمٍ لَهُ نِهَآيَةٌ: فهؤلاء القوم الذين بنى لهم ذو القرنين السدَّ، عاشوا تحت ظلمٍ يأجوج



ومأجوجَ زمنًا طويلاً؛ حتى جاءهم الله بالفرج، ومنَّ عليهم بذي القرنين، فخلَّصهم الله به من هذا الظلم والإفساد في الأرض.

وهذا فرعونُ الذي طغى وبغى وقال للناس: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤]، وسفكَ الدماء، وفعل الأفاعيل، {فَأَخَذَهُ

اللَّهُ نَكَالَ الْأَخِرَةِ وَالْأُولَى} [٢٥] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [٢٦] [النازعات: ٢٥-٢٦]، وقال سبحانه: {فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [٣٦] وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف: ١٣٦-١٣٧].

٢٤- مشروعية حبس أهل الفساد لدفع شرهم عن الخلق: ففي

قوله تعالى: {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

سَدًّا} [الكهف: ٩٤]، قال القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليل

على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من

التصرف لما يريدون، ولا يُتركون وما هم عليه؛ بل يوجعون ضرباً



وَيُحَبِّسُونَ؛ ولذلك قام ذو القرنين برحمة الله تعالى ببناء هذا السدِّ المنيع لحبس أهل الفساد من يأجوج ومأجوج عن الناس دفعاً لشُرِّهم وإفسادهم في الأرض وردعاً لظلمهم.

والحبس للمصلحة مشروع بالكتاب والسنة، ودليل ذلك قول الله تعالى: {وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: ١٥]، فكانت عقوبة الزانية في أول الأمر الحبس بالبيت وعدم الخروج حتى الموت، أو يجعل الله لهن سبيلاً، ثم جاء السبيل من الله بعقوبة الزاني المُحصَن بالرجم، وغير المُحصَن بالجلد والحبس عاماً.

قال النبي ﷺ: «الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدٌ مِئَّةٌ وَنَفْيٌ سَنَةٍ، وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدٌ مِئَّةٌ، وَالرَّجْمُ»^(١). وفي حديث العسيف قال النبي ﷺ: «وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِئَّةٌ، وَتَغْرِيبٌ عَامٌ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠).



ففي السُّنةِ تغريبُ عامٍ، وهذا يكونُ بالحبسِ.

وفي آيةِ الحِرابَةِ قال سبحانه: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴿٣٣﴾} [المائدة: ٣٣]؛ أي: بالحبس.

وعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عن أبيه عن جدِّه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَبَسَ رَجُلًا فِي تَهْمَةٍ»^(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَبَسَ رَجُلًا فِي تَهْمَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً اسْتِظْهَارًا وَاحْتِيَاظًا»^(٣).

وفي حديثِ ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِّنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ»^(٤)، وغير ذلك من الأدلة.

^(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (١٦٩٧).

^(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٣٠)، وحسنه الألباني.

^(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٠٦٤).

^(٤) أخرجه البخاري (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤).



٢٥- مشروعية الجعالة للقيام بالمهام والأعمال:

والجعالة: هي التزام عوض معلوم على عمل معين معلوم أو مجهول يعسر ضبطه؛ يعني: المقابل المادي أو المعنوي للقيام بالعمل المراد، وهي مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال سبحانه في قصة إخوة يوسف والصاع المفقود: {قَالُوا نَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف: ٧٢]، أي: مَنْ أتانَا بهذا الصاع المفقود سنعطيه أجرًا في مقابل ذلك حمل بعير من طعام، وهذه جعالة مشروعة في شرع من قبلنا، فذكرها الله، ولم ينكرها فدل على جوازها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَاَنْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى



قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»^(١).

وقد ورد ذلك في قصة ذي القرنين؛ حيث قال الله تعالى: {قَالُوا يَبْنَؤُا الْوَادْيَانِ يَنْبَأُ الْيَوْمَ الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: ٩٤] ؛ أي: نجعل لك أجرًا ماديًا مقابل هذا العمل الجليل.

٢٦- ذو القرنين نموذجٌ عمليٌّ للقائد المسلم الناجح القوي الأمين العليم: فالقائد المسلم في جميع مجالاته صاحب رسالة ومسؤولية نابعة من إيمانه بالله وعمله الصالح المبني على القرآن والسنة، فالذي ولّاه الملك والقيادة هو الله وحده؛ {قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧).



والواجب عليه استعمالُ هذا التمكنِ والأسبابِ التي وهبها الله له في عمارة الأرض وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح بالدعوة إلى الله على بصيرة، بتعليم التوحيد ونشره، بالقضاء على الشرك ومظاهره، بتعليم العبادة الصحيحة ومعنى العبودية، بنشر الأخلاق الصالحة القويمة، والمعاملات الصحيحة وتجنب الأمة الفتن التي تؤدي بها إلى الهلاك.

والقائد المسلم عبد شاكراً لربه على نعمة ينسبها إليه سبحانه، ويستعملها فيما شرع الله، وهو الذي يستعينُ بربه في كل شيء، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، وفي هذا تحقيق معنى العبودية لله تعالى؛ ولذلك وردت كلمة (رَبِّي) أربع مراتٍ في كلام ذي القرنين، فهو مستعينٌ به شاكراً لنعمه، قال: {مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف: ٩٥]، {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: ٩٨]، وقبل ذلك قال: {قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ



فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿٨٧﴾

[الكهف: ٨٧].

فكان أميناً على أَمَّتِهِ وِثْرَوَاتِهَا، نافعاً للأمة، عفيفاً عما في أيديها، رافعاً للظلم عنهم، حَكَمًا عدلاً بينهم، مُوقِفًا لِهَمَمِهِمْ، مُرْشِدًا لَهُمْ في استغلالِ ثرواتهم ونعمِ الله عليهم، جالبًا لهم ما استطاع من الخير، دارئًا عنهم كلَّ شرٍّ.

فدو القرنين رحمه الله ذهب شرقًا وغربًا وبنى السَّدَّيْنِ لنفع الخلق وجلبِ الخيرِ لهم، ورفع الضُّرَّ عنهم، وتعليمِهم الإسلامَ ومعنى العبودية لله ربِّ العالمين، فكان قائدًا فاتحًا نافعًا مباركًا داعيًا إلى الله تعالى.

٢٧- الفرقُ بين «الخَبَرِ» بفتح الخاءِ والباءِ، و«الخَبَرِ» بضمِّ

الخاءِ وسكونِ الباءِ: هو أن «الخَبَرَ» بالفتح هو الكلامُ الذي يفيد به المتكلمُ السامعَ واقعةً من الوقائع، و«الخَبَرُ» بالضمِّ هو المعرفةُ ببواطنِ الأمور، فإذا كان العلمُ يتعلقُ بالأخبارِ والأُمُورِ



الظاهرة فهو خَبْرٌ، أما إذا كان يتعلق بالأمور والأخبارِ الباطنة وخفايا الأشياءِ وأسرارها فهو خُبْرٌ؛ ولذلك قال نبيُّ الله الخَضِرُ لنبيِّ الله موسى عليهما السلام: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} [الكهف: ٦٨]؛ لأن الخَضِرَ سيفعلُ أشياءَ منكراً في ظاهرها، وموسى عليه السلام لا يعلمُ الحكمةَ ولا السرَّ من فعلها إلا بعد أن يُخبره نبيُّ الله الخَضِرُ ﷺ بما أوحاه الله إليه؛ ولهذا قال الخَضِرُ بعدها: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} [الكهف: ٨٢].

وفي قصة ذي القرنين قال الله سبحانه: {كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} [الكهف: ٩١]؛ لأن ذا القرنين سيقومُ بأعمالٍ قد يجهلها كثيرون، ولا يعلمون لماذا يفعل ذلك؟ فما في قلبه ونيتُه مجهولٌ لديهم؛ ولكنَّ الله تعالى العالمَ العليمَ الخبيرَ أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، يعلمُ خائنة الأعين وما تُخفي الصدورُ.

وفي قصة مجيء موسى من مَدْيَنَ إلى مصرَ وقد ضلَّ الطريقَ، رأى ناراً من بعيدٍ، فتوجَّه إليها؛ لعله يجدُ شخصاً يخبره بالطريقَ، ويدلُّه عليه، فيجدُ عنده خَبْرًا وعلماً بالطريقِ فهو خَبْرٌ، وعلَمٌ ظاهرٌ



معلومٌ لذوي المعرفةِ بالطريق؛ ولذلك قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ لَكُم مِّنْهَا خَبَرٌ أَوْ ءَاتِيكُم
بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾} [النمل:٧].

فالخبرُ للأمورِ الظاهرةِ والخبرُ للأمورِ الباطنة.

٢٨- الفرقُ بين {أَسْطَعُوا} و {أَسْتَطَعُوا}: قال الله تعالى:
{فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ﴿٩٧﴾} [الكهف:٩٧].
قال الطاهرُ بنُ عاشورٍ في «تفسيره»: «استطاعوا» تخفيفُ
«استطاعوا»، والجمعُ بينهما تفنُّنٌ في فصاحةِ الكلام؛ كراهيةَ إعادةِ
الكلمة.

ومقتضى الظاهرِ أن يبتدئَ بفعلِ «استطاعوا»، ويثنِّي بفعلِ
«استطاعوا»؛ لأنه يثقلُ بالتكرير، كما وقع في قوله أنفًا: {سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾} [الكهف:٧٨]، ثم قوله: {ذَلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾} [الكهف:٨٢].



وقوله: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٨٢]؛

أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً، ولما أن فسره له وبينه ووضحه قال: {مَا لَمْ تَسْطِعْ}، وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً، فقال: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٧٨]، فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال سبحانه: {فَمَا أَسْطَلُّوْا أَنْ يَظْهَرُوْهُ} [الكهف: ٩٧]، وهو الصعود إلى أعلاه، {وَمَا أَسْتَطَلُّوْا لَهُ نَقْبًا}، وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى^(١).

٢٩- مادة بناء السد التي وصل إليها ذو القرنين إعجازاً علمي عظيم، فقد حصلت المهندسة المصرية ليلي عبد المنعم على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من الحكومة السويدية؛ لابتكارها خرسانة مسلحة لا تؤثر فيها الزلازل أو حتى صواريخ (توماهوك)، وهو ما اعتُبر اختراعاً عظيماً في مجال حماية المنشآت

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٦/ ٣٨).



الاقتصادية والسياسية المهمة وقت الحروب والكوارث،
 وصرّحت الباحثة أنها استفادت من آيات سورة الكهف التي
 تحكي قصة ذي القرنين: {ءَاثُوْنِي زُبْرَ الْحَدِيْدِ حَتّٰى اِذَا سَاوٰى بَيْنَ
 الصَّدَفَيْنِ قَالَ اَنْفُخُوْا حَتّٰى اِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاثُوْنِيْ اُفْرِغْ عَلَيْهِ
 قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوْا اَنْ يَّظْهَرُوْهُ وَمَا اسْتَطَاعُوْا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾}
 [الكهف: ٩٦-٩٧]، فذو القرنين وضع الحديد على الحجارة التي بنى
 بها، وجعل بينهما الحطب والفحم؛ حتى إذا ساوى بين جانبي
 الجبل قال: انفخوا حتى إذا جعل الحديد كالنار أفرغ النحاس
 المذاب على الحديد المحمي، فصار شيئاً واحداً، فما استطاعوا أن
 يظهروه لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا له نقباً ولا خرقاً لصلابته
 وسماكته.

وهذه القاعدة القرآنية كما تقول الباحثة لا توجد في أي بناء في
 العالم؛ حتى في الأهرامات المصرية؛ لأن الخرسانة التي ورد
 ذكرها في القرآن لا يقدر على ثقبها أو نقبها إلا الله، وابتكارها من
 حوائط البيوتومين مع الحديد المنصهر، ويتم استخدام الأسفلت



مع الحديد بدلاً من الأسمنت، ثم تُدعمُ به المنشآت التي يراودُ حمايتها من الزلازل والصواريخ^(١).

٣٠- من أهمّ عوامل البناء والتمكين إقامة العدل والتعاون بين الرعية على البرّ والتقوى، ولزوم طاعة ولاية الأمر في الخير: فذو القرنين التزم في حكمه وملكه العدل في كل شيء؛ حتى مع المخالفين من الفسقة والكفار والمشرّكين، فقال: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾} [الكهف: ٨٧-٨٨]، فالعدل أساس الملك والبناء؛ ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»^(٢).

^(١) مجلة البيان عدد (٢٠١) جمادى الأولى (١٤٢٥هـ) - يونيو ويوليو (٢٠٠٤م) - مجلة المجتمع (١٣/ ٥/ ٢٠٠٥) - وموقع زاد الواعظين مقال بعنوان: قصة ذي القرنين دروس وعبر بتاريخ (٢٠/ أكتوبر/ ٢٠٢٥م).
^(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/ ٢٨).



وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا لعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

٣١- من أعظم أسباب النجاح والبناء والتقدم أن يكون الناس على قلب رجل واحد، فالكُل يعملُ بجدٍّ وإخلاصٍ لتحقيقِ الخير والقضاءِ على الفساد: {قَالُوا يَذَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٦} [الكهف: ٩٤-٩٦].

فباجتماع الكل على الخير والتعاون على تحقيقه تحقق المراد، وساد الخير، وانتهى الشر والفساد، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ٢ [المائدة: ٢].

ولذا قال بعض البلغاء: «صديقٌ مساعدٌ عضدٌ وساعدٌ».



فلا يدَّ وحدها تصقُّ، ولا رجلٌ وحده يَكيدُ رجلاً.

قال القائل:

إِنِّي رَأَيْتُ نَمْلَةً * فِي حَيْرَةٍ بَيْنَ الْجِبَالِ
لَمْ تَسْتَطِعْ حَمْلَ الطَّعَا * مِ وَحْدَهَا فَوْقَ الرَّمَالِ
نَادَتْ عَلَى أُخْتٍ لَهَا * تُعِينُهَا فَالْحِمْلُ مَالِ
لَمْ يَسْتَطِيعَا حَمْلَهُ * تَذَكَّرَا قَوْلًا يُقَالُ
تَعَاوَنُوا جَمِيعُكُمْ * فَالْخَيْرُ يَأْتِي بِالْوَصَالِ
نَادَتْ عَلَى إِخْوَانِهَا * جَاؤُوا جَمِيعًا بِالْجِبَالِ
جَرُّوا مَعًا طَعَامَهُمْ * لَمْ يَعْرِفُوا شَيْئًا مُحَالِ

فالاتحاد قوة، والفرقة ضعف، قال سبحانه: {وَلَا تَنْزَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾}
[الأَنْفَال: ٤٦].



٣٢- إِتْقَانُ الْعَمَلِ، وَقُوَّةُ الْبِنَاءِ، وَاسْتِثْمَارُ الطَّاقَاتِ، وَالْأَخْذُ
بِالْأَسْبَابِ مَعَ تَقْوَى اللَّهِ سَبِيلُ الْبَقَاءِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَخَافِ،
وَالْتَمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ: لَمَّا بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ أَتَقَنَّ
بِنَاءَهُ، وَأَحْسَنَ رَفْعَهُ، فَمَا اسْتَطَاعَ الْمُفْسِدُونَ أَنْ يَعْلَوْهُ أَوْ يَنْقُبُوهُ،
فَالِإِتْقَانُ سَبِيلُ النِّجَاحِ.

وَلَمَّا كَانَ الْبِنَاءُ قُوًيًا مُحْكَمًا كَانَ عَمْرُهُ أَطْوَلَ وَأَدْوَمَ وَأَنْفَعَ،
{فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: ٩٧].

وقد استثمر ذو القرنين الطاقات البشرية التي كانت خاملةً
وخائفةً، وعرَسَ الثقةَ فيهم بالله تعالى، وأن فيهم خيرًا، وأن الله
سَيُعِينُهُمْ إِنْ جَدُّوا واجتهدوا وأخذوا بالأسبابِ، ولهذا قال لهم:
{فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ}، {عَاثُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}، {قَالَ أَنْفِخُوا}، {قَالَ
عَاثُونِي أفرِّغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}، فتحرَّكَ كُلُّ مِنْهُمْ، وعَمِلَ وَجَدَّ واجتهدَ،
وأخذَ بالأسبابِ، فكانت النتيجةُ هذا السَّدُّ المباركُ الموجودُ إلى
يومنا هذا، والذي سدَّ الله به الشرَّ عن هؤلاء وغيرهم.



وذو القرنين آتاه الله الأسباب، فأخذ بها، واستغلتها في مواضعها، ولهذا مكن الله له في الأرض، فإذا أرادت أمة أن يمكن الله لها فلتأخذ بأسباب النصر والتمكين مع الاعتماد على الله تعالى.

٣٣- العفة والقناعة والتواضع من سمات المسلم عموماً،
والعالم والحاكم الصالح خصوصاً: فذو القرنين عرض عليه المال في مقابل بناء السد، فاستعفف بما عنده من الخير، واستغنى عن أموالهم، وزهد فيها، ومع كونه ملكاً مهاباً مطاعاً ممكناً كان عظيم التواضع لله تعالى، ولخلق الله تعالى، لما طلبوا منه بناء السد لم يتكبر، ولم يتعال عليهم، وإنما أجابهم لطلبهم وبدون أجر، وطلب منهم المعاونة منهم بطاقتهم، وتكاتف معهم بعلمه وخبرته وقوته وجنوده الذين وهبهم الله له، وبنى لهم السد بناءً متقناً محكماً، ثم بعد ذلك كله نسب الفضل في ذلك لله وحده لا شريك له، وأن ما تم من هذا الإنجاز العظيم الذي حفظ الله به البشرية من شرِّ يأجوج ومأجوج إنما هو محض رحمة من الله تعالى.



وهذا دأب الإنسان القويِّ المُمكن، تواضع وعَفَّةٌ وقناعةٌ وإيمانٌ وإحسانٌ وإخلاصٌ لله ربِّ العالمين.

٣٤- من دعائم الملك الصالح والسلطة العادلة تكريمُ أهلِ الصلاح وجعلهم بطانةً للحاكم، واستشارتهم في شؤون الدولة، وإسنادها إليهم، وتكليفهم بسياسة الرعية، وإبعاد أهل الفساد والظلم والانحراف.

وهذا من أعظم أسباب صلاح الحاكم واستقامته على منهج الله، ودوام ملكه، وصلاح دولته، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، وَمَنْ يُوقَ بَطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ»^(١).

٣٥- من مهمات الحكام الصالحين الجهادُ في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ورعاية مصالح الأمة، وحماية المستضعفين، ودفع

^(١) أخرجه الترمذي (٢٣٦٩)، والنسائي (٦٥٨٣)، وصححه الألباني.



إفسادِ المفسدينَ عنهم، وإقامةِ العدلِ في ربوعِ الأرضِ، وإقامةِ المشاريعِ والمنشآتِ النافعةِ للأمةِ، وتصنيعِ الأسلحةِ والمعداتِ التي توفرُ الأمنَ والرخاءَ والسعادةَ للشعوبِ.

٣٦- بقاء نسلِ ياجوجَ ومأجوجَ إلى قربِ قيامِ الساعةِ؛ حيثُ

يخرجون في آخرِ الزمانِ بعد خروجِ الدجالِ ونزولِ عيسى بنِ مريمَ عليهما السلام، ويكونُ خروجُهم من علاماتِ الساعةِ، قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} ٩٦ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ { [الأنبياء: ٩٦-٩٧]، وقال النبي ﷺ:

«لَنْ تَكُونَ - أَوْ لَنْ تَقُومَ - السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالذَّجَالُ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَالذُّخَانُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ، مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١١)، وصححه الألباني.



وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فِرْعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ». وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّنْهَلُكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»^(١).

وخروجُ يأجوجَ ومأجوجَ سيكونُ بعدَ ظهورِ المهديِّ، ثم خروجِ الدجالِ، ثم نزولِ عيسى بنِ مريمَ، ثم بعد قتلِ الدجالِ وأعوانه يكونُ خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، فيأمرُ اللهُ نبيَّهُ عيسى أَلَّا يقاتلَهُمْ؛ لأنهم قومٌ لا يدُ لأحدٍ بقتالِهِمْ، وأن يتوجهَ بمن معه إلى جبلِ الطورِ بسيناءَ، ويدعون اللهَ أن يدفعَ عنهم شرَّ يأجوجَ ومأجوجَ، فيرسلُ اللهُ عليهم الدودَ في رقابِهِمْ فيُصْبِحُونَ قَتْلَى كَمُوتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وتمتلئُ الأرضُ مِنْ نَتْنِهِمْ وزَهْمِهِمْ، فيرسلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ الإبلِ، فتحملُهُمْ وتطرَحُهُمْ حيثُ شاءَ اللهُ، ويأمنُ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).



الناس، وتُخْرِجُ الأرضُ بركتها وثمرتها؛ حتى تأكل الجماعة من الناس الرِّمَانَةَ الواحدة، ويكفي أهل القرية ما يحلبونه من الناقة في المرة الواحدة، ويعودُ الأمن والأمان، ويحجُّ المسلمون إلى بيت الله الحرام بعد هلاكهم كما في الحديث: «لِيَحْجَنَّ الْبَيْتُ وَلِيَعْتَمِرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»^(١).

روى الإمام مسلم عن النّوّاسِ بنِ سَمْعَانَ، قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرَ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَاجِبِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ، كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٣).



عَلَيْهِ فَوَاتِحُ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجُ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ
يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبِثُهُ
فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَتِهِ، وَيَوْمٌ كَشَهْرِهِ، وَيَوْمٌ
كَجُمُعَتِهِ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي
كَسَنَتِهِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، أَفْذَرُوا لَهُ قُدْرُهُ» قُلْنَا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ،
فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ
السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فْتَنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ، أَطْوَلَ مَا
كَانَتْ ذُرًّا، وَأَسْبَعُهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ،
فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ،
لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي
كُنُوزَكَ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِبِ النَّحْلُ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا
شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ
فَيَقْبُلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ



الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ
مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا،
وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ
إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابِ
لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ،
فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ
لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ
طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً
مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ
لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى
وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسَى
كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ،



فَلَا يَحْدُون فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَهُمْ، فَيَرْغَبُ
 نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ
 فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ
 بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ
 لِلْأَرْضِ: أَنْتِي ثَمَرَتِي، وَرُدِّي بَرَكَتِي، فَيَوْمِئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ
 الرَّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ
 الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفَتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ
 النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ
 إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ
 مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارَجَ
 الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(١).

وفي هذا أبلغ ردٍّ على من يزعمون أن يأجوج ومأجوج هي دول
 الكفر في أوروبا وآسيا وأمريكا وغيرها.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).



فهؤلاء ما زالوا مختلطين بالناس، ولم يكن بينهم سد من حديد يمنعهم من الخروج والاختلاط بغيرهم^(١).

٣٧- مَنْ ذُو الْقَرْنَيْنِ؟

اختلف المؤرخون والمفسرون حول تحديد شخصية ذي القرنين، فقيل: هو الإسكندر المقدوني، وقيل: كورش الأخميني، وقيل: شمر بن عمرو الحميري.

وبعد مناقشة هذه الأقوال تبين أنه ليس واحداً من هؤلاء الثلاثة المذكورين، ويبقى أن يكون ذو القرنين عبداً صالحاً ومملوكاً عادلاً، ونموذجاً للعدل والإصلاح، ولو كان في تحديد شخصيته فائدة لحددها القرآن العظيم؛ ولكن العبرة من ذكر قصته هي أخذ الدروس والعبر والحكم والسُنن.

(١) انظر: «أشراط الساعة للعلامة» حمود التويجري، و«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» للشيخ التويجري (ص ٣١١-٣٢٤).



واختلفوا كذلك في سبب تسميته بذِي القرنين على أقوال: منها أنه عاش قرنين من الزمان، أو لأنه طاف المشرق والمغرب، أو لأنه كانت له ذؤابتان (ضفيران).

والقرآن لم يعتنِ بذكر شخصيته واسمه وبلده ومولده ووفاته حتى لا تكون القصة مرتبطة بشخص، ولا خاصة به، ومثل هذه التفاصيل قد تكون مسطورة في بعض كتب التاريخ والقصص، وإنما اعتنى القرآن بالدروس والعبر المستفادة من هذه القصة العظيمة، كما هو الشأن في قصة أصحاب الكهف، ومؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، إنما هي نماذج وأسوة يحتذي بها كل أحد يرجو نصرة الحق وإقامة العدل، وذلك بخلاف قصة مريم، فهي قصة مرتبطة بها؛ لأن ما حدث لها مسألة خاصة لا تتكرر في بنات آدم: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ} [المؤمنون: ٥٠].

أما قصص هؤلاء فإنها تتكرر؛ فذكرهم ليكون أسوة وقدوة لمن يأتي بعدهم؛ ولذلك اعتنى القرآن بذكر صفات هذا الرجل



وأخلاقه وجهاده وعلمه وأعماله، فهو رجل جمع بين العلم والعمل، والحكم والعدل، والقول والفعل، والعقل والرشاد، والصبر والحكمة، والرأي والشورى، والحزم والجِدُّ، والعدل والقوة، والروحية والمادية، والتقوى والقوة، والورع والخوف من الله، استعمل العلم والقوة والتمكين في الإصلاح والتعمير دُنياً ودينًا.

٣٨- هل كان ذو القرنين نبياً أم كان ملكاً صالحاً؟

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «البداية والنهاية»:

ذكرَ اللهُ تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارقَ والمغاربَ، وملك الأقاليمَ، وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين^(١).

(١) «البداية والنهاية» (٢/ ١٠٣).



وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: وقد اختلفَ في ذي القرنين
فقيل: كان نبيًّا، وقيل: كان مَلَكًا من الملائكة، وقيل: كان من
الملوك. وعليه الأكثر.

وقال الألويسي: إنه كان الإسكندر المقدوني، ولم يكن نبيًّا.
وكذلك نُقِلَ عن ابنِ هشام.

وهذا غيرُ صحيح؛ لأن المقدونيَّ كان مشركًا، وذا القرنين كان
حنيفًا مسلمًا؛ ولأن المقدونيَّ لم يصلْ لمشرقِ الأرض ولا إلى
مغربها^(١).

وقال بعضُ العلماء: إنه كان نبيًّا، وهو مرويٌّ عن عبدِ الله بن
عمرو بن العاص. وقال الحافظُ: وعليه ظاهرُ القرآن.

وروى الحاكمُ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «وَمَا
أَدْرِي أَذُو الْقَرْنَيْنِ كَانَ نَبِيًّا أَمْ لَا»^(٢).

^(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٢٢٠ / ١)، و«مجموع الفتاوى»
(١١ / ١٧١)، و«إغاثة اللهفان» (٢ / ٦٣).



وهذا حديث لا يصحُّ عن النبي ﷺ، وقد أعلَّه البخاري وغيره،
ولو صحَّ ما جزمَ أحدٌ من العلماءِ بنبوته^(١).

وهكذا لم يَرِدْ في ذلك دليلٌ صريحٌ، والأصحُّ أنه كان ملكًا
عادلاً وعبداً صالحاً.

قال الشيخُ ابن عثيمين رحمه الله: هو ملكٌ صالحٌ، كان على
عهد الخليل إبراهيمَ، ويقال: إنه طاف معه بالبيتِ. فالله أعلمُ^(٢).
وكذلك قال الشيخُ ابنُ بازٍ رحمه الله^(٣).

٣٩- هل ذو القرنين هو نبيُّ الله سليمانُ؟

زعم البعضُ أن ذا القرنين هو سليمانُ ﷺ، وهذا زعمٌ خاطئٌ؛
فسليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام ذكره الله باسمِهِ وصفته، وذكر
شيئاً من سيرته في سورة الأنبياءِ وص والنملِ وغيرِ ذلك، وقصته

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٥٣/١).

(٣) فتاوي نور علي الدرب، لابن عثيمين (٥/٢ شاملة).

(٤) موقع الشيخ ابن باز بعنوان: الاختلاف في نبوة ذي القرنين ٢٩/١٠/٢٠٢٥ م.



مفصلةً في القرآن العظيم والسنة المطهرة، وأما ذو القرنين فقال الله

عنه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ

ذِكْرًا ﴿٨٣﴾} [الكهف: ٨٣]، لو كان هو سليمان لأخبر الله بذلك، وقال:

«هو سليمان»، ولما ذكره الله مُنْكَرًا في سورة الكهف.

٤٠ - هل سور الصين العظيم هو سد ذي القرنين؟

قد زعم بعض المفكرين والمؤرخين أن سور الصين العظيم هو

السد الذي بناه ذو القرنين، ويبلغ طوله مئات الكيلومترات، وهذا

زعم باطل وغير صحيح من وجوه:

الأول: أنه لا يدخل في بنائه الحديد ولا النحاس.

الثاني: أنه تم اختراق الصين وهزيمتهم ثلاث مرات بعد بناء

هذا السور، فقد بناه الصينيون قديمًا؛ لاتقاء شر الأعداء الذين

كانوا ينهبون خيراتهم، ويسبون نساءهم حينًا بعد حين، ومع بناء

هذا السور كان الأعداء يقومون برشوة البوابين على هذا السور

وأبوابه، ثم يدخلون فيقتلون وينهبون، وحدث ذلك ثلاث مرات،



فعلم الصينيون بأن الحلَّ ليس في بناء السور؛ لكن في بناء الإنسان الجيد الأمين الذي يحافظ على بلده وخيراته ونفسه وأهله، فلما فعلوا ذلك سادوا الدنيا صناعياً واقتصادياً.

الثالث: أن سور الصين العظيم لا يقع في مضيق جبلي ضيق؛ بل هو جدار مبني من مواد البناء العادية.

٤١- هل سد مأرب باليمن هو سد ذي القرنين؟

الجواب: لا.

فقد زعم البعض أنه سد مأرب، وهو زعم باطل أيضاً مع وقوعه في مضيق جبلي؛ وذلك لأنه ما أنشئ إلا لمنع السيل وتخزين الماء، ولم يدخل في بنائه الحديد ولا النحاس.

علاوة على أن سد مأرب قد انهار، وصار عذاباً لقوم سبأ، قال تعالى: {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾} [سبأ: ١٦].



٤٢- هل سدُّ ذي القرنين هو السدُّ الموجودُ حاليًّا في أرضِ

القوقازِ بين بحرِ الخزر والبحرِ الأسودِ؟

هناك قولٌ يستندُ إلى شهادةِ بعضِ العلماءِ أهلِ الخبرةِ أن السدَّ الموجودَ بين بحرِ الخزر والبحرِ الأسودِ هو سدُّ ذي القرنين؛ لأنه توجدُ سلسلةٌ جبليَّةٌ كالجدارِ تفصلُ الشمالَ عن الجنوبِ والمضيقُ الوحيدُ الذي يقعُ بين هذه الجبالِ الصخريةِ هو مضيقُ داريالَ المعروف، ويشاهدُ فيه جدارٌ حديديٌّ أثريٌّ حتى الآن.

ويعتقدُ الهنودُ كما ورد عن مفكرِ الإسلامِ أبو الكلامِ آزاد وزيرِ الثقافةِ الهنديِّ في كتابِ حقِّقه في هذه المسألةِ بأن ذا القرنين هو كورُش الكبيرُ الملكُ الإخميني ٥٠٠ قبل الميلاد.

كما يوجدُ نهرٌ على مقربةٍ من هذا المكانِ (مضيقُ داريال) يُسمَّى سائرسَ؛ أي: كورش؛ إذ كان اليونانُ يسمُّون كورشَ بسائرسَ.



والآثارُ الأرمينيةُ القديمةُ تطلقُ على هذا الجدارِ اسمَ «بهاك كوراي»، وتعني مضيقَ كورش، أو معبرَ كورش، وهذا دليلٌ آخرٌ على أن كورش هو الذي بنى السدَّ^(١).

وهذه كلها تخميناتٌ يستدلون بها على أن السدَّ الموجودَ بين بحرِ الخَزَرِ والبحرِ الأسودِ عند مضيقِ دريال بأرضِ القوقاز هو سدُّ ذي القرنين، وهذا حدسٌ وتخمينٌ، لا نعلمُ صحتهُ يَيقيناً، والعلمُ في ذلك كله عندَ الله تعالى.

٤٣- هل الروسُ هم ياجوجُ ومأجوجُ؟

قال العلامةُ محمدُ الأمينُ الشنقيطيُّ في «أضواء البيان»: ومما يدلُّ على بطلانِ قولِ مَنْ قال: إنهم روسيا، وأن السدَّ فُتِحَ منذُ زمنٍ طويلٍ أنَّ هذا البيانَ بهذه الآياتِ ليس وافياً بتمامِ الإيضاحِ إلا بضميمةِ السُّنةِ له؛ ولذلك ذكرنا أننا نتممُّ مثله من السُّنةِ؛ لأنها

(١) موقع هدي القرآن، مقالٌ بعنوان «قصة ذي القرنين» للشيخ ناصر مكارم، بتاريخ (٢٠٠٨/٣/٣) - (٢٠٢٥/١٠/١٨) م.



مُبَيَّنَةٌ لِلْقُرْآنِ، ثم ذكر حديثَ مسلمٍ في الأخبارِ عَنِ الدَّجَالِ وَيَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ، وهذا الحديثُ الصَّحِيحُ قد رَأَيْتُ فِيهِ تَصْرِيحَ النَّبِيِّ ﷺ
بأنَّ اللهَ يُوْحِي إلى عيسى بنِ مريمَ بِخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بعد
قَتْلِهِ الدَّجَالِ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُم روسيَا، وَأَنَّ السِّدَّ قد زال منذَ زمنٍ
فهو مُخَالِفٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُخَالَفَةٌ صَرِيحَةٌ، وَلَا وَجْهَ لَهَا،
وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ خَبَرٍ نَاقِضٍ خَبَرَ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ﷺ فهو
باطلٌ^(١).

وَصَلِّ اللّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ!
آمِينَ آمِينَ!

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٣/ ٣٤٤).



فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: نصُّ القصة من القرآن الحكيم	٧
المبحث الثاني: معاني كلمات القصة	٨
المبحث الثالث: المعنى الإجمالي للآيات الواردة في قصة ذي القرنين	١٦
المبحث الرابع: الدروس والفوائد من قصة ذي القرنين	٢٢
السؤال مفتاحٌ للعلم	٢٢
ينبغي على السائل ألا يسأل إلا فيما ينفع ويفيد	٢٧
فيه إبرازُ محاسنِ ذوي الفضلِ ممن يُقتدى بهم	٣٠
العلمُ قبلَ القولِ والعملِ	٣٣
على المتكلم والمفتي أن يُجيبَ على قدرِ السؤالِ بما يُفيد، ويُبينُ المرادَ	٣٤
فقهُ الإيجازِ والإطنابِ في بيانِ المرادِ	٣٤
الجزاءُ من جنسِ العملِ	٣٥
وجوبُ رفعِ الظلمِ عن المظلومين لمن قدرَ على ذلك من	٣٥



غير مضرّة تعودّ عليه

٣٦ الله ﷻ العليمُ العالمُ الخبيرُ مَطْلَعٌ على كل شيءٍ، ولا
تخفى عليه خافيةٌ

٣٧ وجوبُ شكرِ النِّعمِ بنسبِتها إلى باريها سبحانه وتعالى

٣٩ {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾}

٤٤ الأخذُ بالأسبابِ من التوكّلِ على الله، وعلى قدرِ بذلِ
الجهدِ يكونُ الفوزُ والظفرُ

٤٦ وجوبُ استثمارِ واستغلالِ الأسبابِ والطاقاتِ والنِّعمِ
التي منحها الله للإنسانِ

٤٧ اللهُ يرفعُ بفضلِهِ من يشاءُ، ويؤتي الملكَ مَنْ يشاءُ،
ويصطفي لدينِهِ مَنْ يشاءُ

٤٨ العقوباتُ الدنيويةُ تُطهِّرُ المؤمنَ، ولا تُطهِّرُ الكافرَ

٥١ إثباتُ الميعادِ والجزاءِ

٥٥ العملُ الصالحُ يُخلِّدُ ذَكَرَ صاحبه عندَ الله

٥٦ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ والدعوةُ إلى الله
سبيلُ الرفعةِ والخيريةِ والإصلاحِ في الأرضِ والفوزِ
بالجنةِ والنجاةِ من النارِ



الغرض من ذكر القصص في القرآن الكريم هو أخذ العبرة

والعظة منها

٥٨

المؤمن المخلص حريص على إيصال الخير والنفع

للناس مهما كانت الظروف

٦٠

المؤمن المخلص العالم كالغيث أينما وقع نفع

٦١

حرص المسلم على العمل الصالح في حياته والذي

يجرى عليه بعد مماته

٦٤

من فقه مساعدة الفقراء والمساكين والضعفاء

والمحتاجين

٦٥

كل بلاء في الدنيا مُبْتَرٍ، وكل ظلم له نهاية

٦٦

مشروعية حبس أهل الفساد لدفع شرهم عن الخلق

٦٩

مشروعية الجعالة للقيام بالمهام والأعمال

٧٠

ذو القرنين نموذج عملي للقائد المسلم الناجح القوي

الأمين العليم

٧٢

الفرق بين «الخبر» بفتح الخاء والباء، و«الخبر» بضم

الخاء وسكون الباء

٧٤

الفرق بين {أَسْطَعُوا} و{أَسْتَظَعُوا}

٧٥

مادة بناء السد التي وصل إليها ذو القرنين إعجاز علمي



عظيم

- ٧٧ من أهم عوامل البناء والتمكين إقامة العدل والتعاون بين
الرعية على البر والتقوى، ولزوم طاعة ولائ الأمر في الخير
- ٧٨ من أعظم أسباب النجاح والبناء والتقدم أن يكون الناس
على قلب رجل واحد
- ٨٠ إتقان العمل، وقوة البناء، واستثمار الطاقات، والأخذ
بالأسباب مع تقوى الله سبيل البقاء والنجاة من
المخاوف، والتمكين في الأرض
- ٨١ العفة والقناعة والتواضع من سمات المسلم عموماً،
والعالم والحاكم الصالح خصوصاً
- ٨٢ من دعائم الملك الصالح والسلطة العادلة تكريم أهل
الصلاح وجعلهم بطانة للحاكم
- ٨٢ من مهمات الحكام الصالحين الجهاد في سبيل الله لإعلاء
كلمة الله
- ٨٣ بقاء نسل يأجوج ومأجوج إلى قرب قيام الساعة
- ٨٩ من ذو القرنين؟
- ٩١ هل كان ذو القرنين نبياً أم كان ملكاً صالحاً؟
- ٩٣ هل ذو القرنين هو نبي الله سليمان عليه السلام؟



٩٤

هل سورُ الصينِ العظيمِ هو سدُّ ذي القرنينِ؟

٩٥

هل سدُّ مأربَ باليمنِ هو سدُّ ذي القرنينِ؟

٩٦

هل سدُّ ذي القرنينِ هو السدُّ الموجودُ حاليًا في أرضِ

القوقازِ بين بحرِ الخزرِ والبحرِ الأسودِ؟

٩٧

هل الروسُ هم يأجوجُ ومأجوجُ؟

